فقه الجمال

تعلّم أنت ذلك الإحساس المريب بالمراقبة، ذلك الذي تنتصب له الشعيرات خلف رأسك، وتغمرك هالةٌ عصيَّةٌ على التفسير، تأتيك من خلفك، فتتوتّرُ لها عضلاتُ جسدك، وقد تحفّزت لتصدَّ خطرَ العينين، اللتين صنعتا منك بؤرة اهتمامهما.

تلتفت – رغماً عنك– محاذرا، لتصطدم بهما: عينان هما، توسعانك تحديقا، تلتهم سكناتك قبل الحركات، تلتفت بكلّك لمزيد تمحيص، تبدأ عيناك برسم معاني الانزعاج الذي يحمل التوبيخ، لتفاجأ بما يصدّهما عن قرارٍ عجول!

تأتيك الابتسامة المترددة على شفاهٍ ترتجف بالاعتذار، لتنزاح بارتجافهما عن أنخرِ صفين، يمكن لعقل طبيب أسنانٍ محنّك تخيلهما في دائرة المعارف المصورة، تلك التي جرؤ على اتمامها يوما!

تصعد عيناك ببطءٍ مرتخٍ، تجول في ملامح تستدعي الخيال، بضدِّ كلِّ منطقيٍّ.. ومعقول!

يا لله! مازالت بسمتها تهتز على شفاهٍ معوّجة، كانتا تحسبان نفسيهما ممراً للمشاة مثخناً بالحصى، تحت أرنبة أنفها المرتعشة، الذي يكاد يحتل مساحة نصف وجهها.. أو يزيد!

وعيناك تتأملان، وقيهما يلوح بريق أبعد ما يكون عن الشفقة! بريقٌ شفيف، يسري فيهما نهماً ليستعمر ملامح وجهك بأسرها بمزيد سنىً، فيغمرها بفيض الحب!

تتسع ابتسامتك، وتزقزق عيناك، تمنحها تشنيكة أنفك الشهيرة، تحييها غمّازتك، وفي داخلك.. يغمرك السلام!

اللهُ يا جميل، ياربَّ الجمال، أشهدك يا حبيبي، أنَّ صنعتك تلك.. مِن أجملِ مَن رأيت!